ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد: 09، العدد: 01 (2024) ص 330 - 342

الجانب النّفسي للشّخصية البطلة في رواية عزوزة للروائية الزّهرة رميج

The psychological aspect of the heroine in the novel Azouza by Zahra Rmeij

د.نور الهدى العيفة
جامعة البشير الإبراهيمي برج بوعريريج – الجزائر -
nourelhouda.laifa@univ-bba.dz

أ.د عبد العزيز بوشلالق *
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – الجزائر
Abdelaziz.bouchelaleg@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/03/05
تاريخ القبول:
2024/05/11

الكلمات المفتاحية:
- ✓ عزوزة
- ✓ الشخصية البطلة
- ✓ الجانب النفسي .

الملخص:

تنزع الكتابات الروائية للتركيز على الشّخصيات داخل حيزها الإبداعي ، وغالبا ما يكون النزوع الأكثر للشخصية البطلة، من خلال علاقتها بالشّخصيات الأخرى وكذا علاقتها بالأحداث وغيرها من عناصر الخطاب الروائي، ركزت الروائية على أثر العادات والتقاليد على نفسية الشّخصيات، خاصة الشخصية البطلة، فالكتابة تفتح مجالا للتجارب العقلية والذاتية وكذا الغيرية حتى تصهرها في قالب سردي وعالم خيالي يؤثر بشكل بارز في القارئ والمتلقي، فيما ينتجه التفاعل من بوابة الأدب والرواية بالتّحديد، حيث تحدّثت الروائية الزهرة رميج في" عزوزة" على ما هو موجود في البادية المغربية، مبرزة في سردها تيمة الزّواج كنموذج مصغّر للمجتمع، الّذي تدور فيه الأحداث في صرح السّرد، إذ لا تخلو الرّواية من هذا الرّفض الّذي مؤدّاه اختلاف الرؤى وتعدّد المواقف، ممّا يشير إلى صراع اجتماعي أساسه ومنطلقه الصّراع النفسي.

Article info

Received
05/03/2024
Accepted
11/05/2024

Keywords:
- ✓ *Azouza*
- ✓ *The hero character*
- ✓ *The psychological aspect.*

Abstract :

Novel writings tend to focus on the characters within their creative space, and often the most tendency of the heroine character on their relationship with other characters as well as their relationship to events and other elements of narrative discourse, The novelist focused on the impact of customs and traditions on the psychology of the characters, especially the heroine character, writing opens the way for mental and subjective experiences as well as altruism In order to fuse it into a narrative template and a fictional world that prominently affects the reader / recipient through what the interaction produces through the gate of literature / novel specifically. The novelist Zahra Rmeij spoke in "Azouza" about the customs and traditions existing in the Moroccan desert, and focused in her narration on the theme of marriage as a miniature model of society, in which the events take place in the edifice of the narrative, as the novel is not devoid of this rejection, which results in the difference of visions and the multiplicity of positions, which It refers to a social conflict whose basis and starting point is psychological conflict.

* عبد العزيز بوشلالق

1.مقدمة

إنّ سعي الرّوائية الزهرة رميج لخلق عالمها الخاص للكتابة خاصة في روايتها نموذج الدّراسة، نابع أساسًا من التركيز على الشّخصيات داخل الخطاب الرّوائي، لما لهذه الأخيرة من أهمية واضحة في بناء العمل، والدليل الواضح على ذلك إعطاؤها حق التعبير عن آرائها وأفكارها. لذلك صح الجنوح إلى هذا العنصر السردي، للظفر بكتابة روائية مميزة ومختلفة ومتنوّعة، بتميّز واختلاف وتنوّع ذلك العنصر.

إنّها بؤرة من أهم البؤر السردية التي لا يمكن تجاوزها بأيّ شكل من الأشكال؛ لأنّها مرتبطة حدّ الانصهار بالرّواية، ليكون تفشي عنصر الشّخصية في الرّواية مميّزًا عن وجودها في سائر الأجناس الأخرى كالمسرحية والقصّة وحتى الخرافة والحكاية الشّعبية، فمثلما يتميّز الجنس نفسه تتميّز معه الشّخصية، وهي كالبذرة التي تنبت حسب الأرض التي زرعت فيها، ومنه فإنّ زراعتها في الرّواية يجعلها تثمر ثمارًا مختلفة عن الثّمار التي يمكن أن تنتجها لو كانت في جنس أدبي آخر. لذلك نجدها تتشكل إزاء متواليات الأفعال، ويكون ذلك من خلال تسليط الدراسة على خباياها الداخلية.

2.الشخصية: le personnage

– لغةً:

ورد مفهوم "الشخصية" في المعاجم اللغوية العربية ومنها (معجم العين)الذي نجد فيه مادة شخص تفيد بأن: "شخص: الشّخص: سواد الإنسان إذا رأيتهُ من بعيد، وكل شيء رأيت جُسمانه فقد رأيت شَخْصَهُ وجمعُه، الشّخوُص والأشْخاصُ، والشُّخوص: السّيرُ من بَلد إلى بلَد، وقد شَخَص يشْخَص، شخوصًا، وأشْخصْتهُ أنَا، وشَخَصَ الجُرْح: وِرِمَ، وشخص ببصرِهِ إلى السّماء: ارتفع، وشَخَصَت الكَلِمَة في الفم إذا لم يقدر على خفض صوته بها والشّخيصُ: العظيم الشّخْص، بين الشَّخاصة وله شخصُ هذا على هذا إذا أعليته عليه".1 (الخليل بن أحمد الفراهيدي ،2003، ص314.)

في هذا التعريف نجد معنى (شَخِصَ) على أنّها كلّ جسم يُمكن رؤيته فقد رأيت بذلك شَخصَهُ، وهو بذلك ربطه بالجانب المادي الجسماني، فكل ما يرى جَسده فهو شخص، وهذا يدلُ على المظهر والهيئة والمادة وإذا ما أردنا أن نؤكّد معلوماتنا ونزيد فيها، ونوسع دائرة البحث وجب عدم الوقوف عند تعريف لغوي واحد، فالمعاجم كثيرة والتعاريف عديدة، ومن التعاريف اللغوية أيضًا ما ورد في معجم (لسان العرب) "لابن منظور":"شخص: الشّخص: جماعته شَخِص الإنسان وغيره مذكر والجمع أشخاص وشخوص وشخاص: جماعة شخص والشّخص: سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد، تقول ثلاث، وكُلُ شيء رأيت جسَمانهُ، فقد رأيت شخصهُ، وفي الحديث: لا شخصَ أغْيرُ من الله، الشّخص: كل جسم له ارتفاع وظهور والمراد به إثبات الذات، فأستعير له لفظ الشّخصِ" 2 (ابن منظور، لسان العرب، 2008م، ص44.).ربط هذا التعريف مفهوم شخص بالإنسان، فكل جسم ظاهر بارز هو شخص وهذا التعريف لا يختلف عما سبقه فقد رُبِطِ هو الأخر بالجانب المادي الملموس الظاهر.فالتعاريف اللغوية لـ لفظة شخص، تصبُّت تقريبًا في نفس المعنى الذي يجمع دلالة (العلو ـ الارتفاع ـ الظهور).

– **اصطلاحا:** يعرج المعنى الاصطلاحي للشخصية على المنبت الأوّل فـ: " كلمة "الشخص" مشتقة من الكلمة اللاتينية (PERSONA)، وهي نفسها كلمة مشتقة من فعل (PERSONARE) وهو يعني " رن" "دوى" كما يعني القناع المسرحي، لكن الأكيد ما إن تكون مفهوم (PERSONA)، حتى أصبح ينظر إليه تقريبًا كجناس لفعل (PERSONARE) رغم أنّ مصدرها مختلف، فكلمة (PORSONA)تعني القناع ليس أكثر، لقد كانت (PORSONA) هي القناع المسرحي، ثم أصبحت تدل على حامل القناع، أي الممثل، ثم على التشخيص الذي يقوم به الممثل؛ أي الدور الذي يلعبه في المسرح، انتقلت الكلمة إلى الأشياء المتعلقة بالحياة" 3 (محمد الهلالي وغرير لزرق، (د،ت)، ص 10-11.) نلمس من هذا التعريف أن لفظ الشخص قد مّر بتغيرات عديدة عبر العصور كان معها تغّير المعنى، فقد حملت معنى الصوت المرتفع المتأتى عنه "الرنين" و"الدوي" ثم أصبحت تعني القناع المسرحي الذي يرتديه الممثل المسرحي لأداء دوره حينها، ثم أصبح يقصد بها الممثل في حدّ ذاته، ثم الدور الذي يؤدّيه ذلك الممثل، ومنه إلى جوانب الحياة الأخرى. ومنه "لفظ شخصية من الألفاظ الدراجة على لسان كثير من الناس فنحن نسمع إنسانًا يتحدّث عن إنسان آخر بأنّه شخصية محبوبة أو" شخصية عدوانية" أو "أن" له شخصيات متعدّدة"4 (سيد محمد غنيم، (د،ت)،ص 03.)

من المرجعيات التي تكلم عنها هامون حول الشخصية نجد:

3. الشخصيات ذات المرجعية النفسية:

هي الشخصيات السردية " التي تحيل إلى مقولات علم النفس أو التحليل النفساني، وتكون عادة متصلة ببعض وجود الاختلال أو معبرة عن مسائل الوعي أو في بعض أنواع المرضى النفسانيين (مثل انفصام الشخصية) أو حتى بعض الطباع والأحاسيس مثل: شخصية المعجب بنفسه ...)" 5 (سيد محمد غنيم، (د،ت)، ص192)

يحاول أي عمل سردي أن يسلط الضوء على الحالات النفسية لشخصيات عمله سواء أكان بشكل مبالغ فيه أم تلميحا له، تاركا للقارئ أو الدارس مهمّة البحث عنها وتحليلها وفق آليات وأدوات المنهج النفسي.

يصعب التعامل مع هذا البعد _ النفسي _ لأنه مرتبط بدواخل الشخصيات " وهذا البعد في طابع الشخصية وما يميزها عن باقي الشخصيات، كأن تكون طيبة أو شريرة ، كما يتجسّد أيضا فيما تقوم به أو تقوله، أو ما يظهر عليها من انفعالات وعواطف مثل الحزن والفرح والغضب والاستقرار" 6 (م.م .اوراس سلمان كعيد السالمي، 2017 ، ص387) وعليه فإنه مرتبط بأفعال وحركات الشخصيات داخل الصرح الروائي، وهي غالبا ما تحمل عقدا وأمراضا نفسية نتيجة أحداث وصدمات عاطفية تخلف ندوبا على نفسياتها، تترجم داخل الرواية من خلال أفعال وتصرّفات تنبئ أنها شخصية ورقية غير سوية ف "الحالة النفسية والذهنية للشخصية، وتحديد مدى تأثير الغرائز في سلوك هذه الشخصيات من انفعال أو هدوء، ومن حب أو كره، ومن روح الانتقام أو التسامح، وهل هذه الشخصية اجتماعية أو انطوائية، معقدة أو خالية من العقد، متفائلة أو متشائمة7" (روجر_ ب _هينكل ، دت ، ص227)

4.الدلالة السيكولوجية (النفسية):

إنّه لمن الصعوبة بمكان أن نرسو بقوارب البحث والدراسة على ضفاف تعريف مانع جامع للشخصية خاصة في جوانبها النفسية، نظرًا لضبابية هذا الجانب وغموضه على الباحثين والدّارسين وحتى على الأشخاص العاديين أنفسهم، لعسر إدراك ذلك المدى الداخلي

الذي يفصل بين الجسد والروح، وعلى هذا الأساس كان لزامًا أن نعرج بالبحث على الدلالة النفسية للشخصية،التي تناولها علماء النفس على أنّها "نظام ثابت بدرجات متفاوتة للقوى الموجودة في الفرد، وتساعد تلك القوى الثابتة على تحديد استجابة الفرد في المواقف المختلفة"8 (أحمد بن نعمان، 1988م، ص108.) وهذا حسب تعريف "أدنوadno" إن ما يرمي إليه أدنو في قوله هذا هو أن انفعالات الإنسان وسلوكاته ما هي إلّا استجابة لمؤثرات خارجية في حين يرى ماكيلاند McCllend أن الشخصية هي:"أكثر التصورات الذهنية مواءمة لسلوك الشخص في كل تفاصيله، التي يمكن للعالم تقديمها في لحظة ما في الوقت نفسه" 9 (حليمي المليجي، علم النفس الإكلينيكي ،2000م، ص31)

ينطلق هذا التعريف بالنظر إلى الشخصية على أنّها تركيب يحتوي مجموعة من الخصائص النفسية، التي تتحكّم في توجيه سلوك الفرد، من خلال إدراك شخص آخر لها. وعليه فإن "سمات شخصية الفرد ليست نتاج الخبرة وحدها، وإنّما هي محصلة عوالم عديدة" 10 (سيد محمد غنيم، د/ت، ص18) وهناك مصوغات خارجية تؤثّر على النفس البشرية منها، التي قد تؤدّي به لأمراض نفسية قد يكون أحد مصادرها الوراثة.دون أن ننسى التعريج على إسهامات دارون في دراسته الشخصية بوصفها نظرية خاصة.

5.أنواع الشّخصية الرّوائية في رواية عزوزة :

تنطلق الرّواية في الأساس على الارتكاز الواضح على الشّخصيات داخل أحشائها، وهذه الأخيرة لا تكون كلّها في مكانة واحدة، تحتل نفس المرتبة والمنصب في العمل أو عند الرّوائي/ الرّوائية، فهي تنقسم إلى أقسام، منها ما يرتبط بالدور الذي تؤدّيه داخل الرّواية، حيث تنقسم إلى قسمين، ومنها ما يكون رئيسًا وآخر ثانويا، وهناك أيضًا احتكام لحكم آخر وهو التّطوّر، فقد يطرأ عليها داخل العمل ومن خلال معيارين ومقياسين الحكم على الشّخصية حتى تنتزع مكانتها داخل السرد، إمّا ببروز إثبات نفسها من خلال الأدوار التي تقوم بها، وإمّا بمضمونها، وهذا ما يؤدّي إلى تصنيفها في مصاف الشّخصيات الثانوية أو النمطية، التي تبقى على حالها من بداية السرد إلى نهايته. وفي هذا الصدد يمكن رصد الشّخصيات في الرواية قيد الدّراسة "عزوزة " وتصنيفها حسب الدّور والتّطوّر.

من حيث الدّور:

- **الشّخصية الرّئيسة:** Personnage Principale

توكل مهمة السرد وتسيير الأحداث وإعطاء المعلومات عن الشّخصيات الأخرى غالبًا إلى شخصية واحدة، وأحيانًا إلى أكثر من ذلك، وهي ما تعرف بالشّخصية الرّئيسية التي هي شخصية «تتمحور عليها الأحداث والسرد، والفكرة الرئيسية التي تنسج الحوادث، وهي أيضًا إيهام بموقف بطولي فردي." 11 (سعيد علوش،1985، ص126) هذا الكلام يؤكّد على الأهمية البالغة والدّور البارز الذي تقوم به الشّخصية الرئيسية فهي:"التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام، وليس من الضروري أن تكون الشّخصية الرئيسة بطلة العمل دائمًا، ولكنّها دائمًا هي الشّخصية المحورية." 12 (إبراهيم فتحي، 1986، ص212) التي تدور عليها كلّ الأحداث، وهذا ما يلبسها وشاح التفرد عن غيرها من الشّخصيات الأخرى ف " لكلّ شخصية روائية صفات تؤهلها لكي يكون لها دور في سير الرّواية، ويكون على عاتقها نجاح الرّواية أو فشلها، فالرّوائي الناجح هو الذي يبدع شخصيات قادرة على الديمومة وإقناع المتلقي، وتثير التساؤلات الخفية، وخلق زوايا التماهي والانجذاب إلى تلك الشّخصية بعينها." 13 (منال عواد مفلح العرقان، 2011/2010، ص03)

مهمة الرّوائي هي العمل على خلق شخصيات مميّزة، تؤثّر في المتلقي/القارئ وتترك بصمتها فيه إمّا بالشفقة والتّفاعل معها، وإمّا بالحقد والنفور منها، وهذا الأثر دليل واضح على مدى قدرة الرّوائي/الرّوائية على خلق شخصيات مؤثّرة، ولذلك" اعتنى بها لأنّها المفتاح، الذي يمكن أن يفتح النص ضمن منظوره." 14 (منال عواد مفلح العرقان، 2011/2010، ص04)،كما أن الشّخصية الرّئيسية هي أيضًا:"شخصية أساسية في تكوين البنية الحديثة، ضمن الملفوظ الحكائي؛ حيث تتمحور أحداث الرّواية حولها، وأحيانًا تكون هي صانعة الأحداث من خلال ما تتّسم به من علاقات ومظاهر داخل النص الرّوائي." 15 (عباد عبلة،2012/2011، ص90) فالأدوار التي تكلّف بأدائها داخل الرّواية هي من تعطيها مشعل القيادة للسرد.

6.تمظهرات الشّخصية الرئيسة في رواية عزوزة :

- **الشّخصية الرّئيسية:**

شخصية عزوزة :أدّت الشخصية في رواية "عزوزة " دور البطولة، ممّا أدرجها على رأس هرم الشّخصيات، فكانت الشّخصية الرئيسة من خلال الأدوار التي قامت بها في العمل، فهي منذ بداية السرد إلى نهايته متواجدة كصوت الرّاوي، السارد للأحداث والمعرّف على الشّخصيات الأخرى في إطار مكاني وزماني محددين.

يبقى الوصول إليها وتحليلها تحليلًا كاملًا دون أن تشوبه شائبة أمرًا مستحيلًا، سببهُ غموض العنصر في حدّ ذاته. لذلك لم تسلم رواية" عزوزة " للمبدعة " زهرة رميج "من تميّز شخصياتها بالعديد من الجوانب النفسية الداخلية المعقدة، خاصة الشخصية البطلة " عزوزة " التي حملت العديد من الأمراض والعقد النفسية، مترتبة على ما عانته وواجهته من مشاكل عائلية واجتماعية، وذلك ما ينبري له القارئ / الدارس الذي يملك مفاتيح الدراسة، ولا نعني بذلك بأن دراسة الجانب النفسي مقتصرة فقط على تعداد ودراسة الصفات السلبية، بل نعنى دراسة الصفات الإيجابية للشخصيات كذلك.

استفتحت الزهرة رميج روايتها مدونة الدراسة بشعور القلق(Anxiety) وكان ذلك مع البطلة عزوزة وابنتها حليمة وكان القلق: خوفا من: الموت / النهاية / الوداع

ويتجلى ذلك في هذا المقطع السردي:

"تسللت حليمة في الصباح الباكر إلى المصحة (...) أرادت أن تزيل عنها ما خمنته، ينتابها من الخوف والتوتر" 16 (الزهرة رميج، 2016، ص05) انطلق السرد هنا بشعور القلق والخوف، وقد اهتم علماء السرد كثيرا بهذا الشعور على رأسهم سيغموند فرويد "ممّا جعله من أوائل من تحدثوا عن القلق بنظرة سيكولوجية في علم النفس الحديث (...) حيث يعود الفضل إليه في توجيه علماء النفس إلى الدور الهام الذي يلعبه القلق في حياة الإنسان من ناحية دينامية الشخصية والنظريات الارتقائية " 17 (الجزيرة ، aljazeera.net ، 29/03/2022، على الساعة 23:00) فالقلق هو شعور اضطرابي، وكلما كانت هناك مثيرات خارجية كانت هناك استجابات داخلية، وهذا ما حدث مع" عزوزة " وابنتها حليمة. القلق هنا خوف من الموت / النهاية ، وهو عادي وليس مرضي لأن هناك حدثا يستدعي فعلا هذا الشعور.

ومن السرد كدليل على ذلك:

"ابتسمت عزوزة ابتسامة ذابلة ثم قالت:

_لقد زارني والدك البارحة

_من ؟

_أبوك

_أبي ؟

_قال لي" لقد تعبت من الانتظار . ألم تقرري المجيء بعد ؟

وجدت نفسها تسألها بهلع:

_وبماذا أجبته ؟

_قلت له: اطمئن أنا قادمة إليك

انتفض قلبها، لكنها طمأنت نفسها قائلة: إنها مجرد أضغاث أحلام" غير أن القلق لم يفارقها" 18 (الزهرة رميج، 2016، ص5 و 6)

يتجلى بوضوح شعور القلق والخوف من الموت فقد وصفت الروائية ابتسامة عزوزة بالذابلة، وهذا مؤشر على الحالة النفسية المتأزمة التي كانت تمر بها، ممّا انعكس على شعور ابنتها التي تجلت ملامح القلق في كلامها، فبأسلوب ذكي استطاعت رميج أن تلفت نظر القارئ الحاذق وتجذب انتباهه بشعور القلق من الموت، وهذا ما شكّل منعرجا مهما جدّا في السّرد، ليعرف هل حدث فعل الموت فعلا في نهاية الرواية أو لا ، لأن الحالات النفسية يتفاعل معها القارئ أكثر من غيرها، إما شفقة أو نفورا.

فالشخصية البطلة " عزوزة" هي من أكثر الشخصيات التي لفتها هالة من الصراعات النفسية فقد " تظهر هذه الشخصية في قالب من الغموض أو تواري الروح خلف دوافع مبهمة من حين لآخر" 19 (روجر_ ب _هينكل ، دت ، ص227) وعليه فإنّ تركيز الرواية على الجانب النفسي يكون لغايات أهمّها " أن تجعلنا ندرك كيفية تشكّل مشاعر الفرد واتجاهاته، نشاركه تجاربه الخاصّة ونفهم طبيعة العالم الخاصّ بسلوكه الشخصي المتفرد" 20 (روجر_ ب _هينكل ، دت ، ص10) وهذا ما يكون مع الشخصيات الورقية أيضا، وما يعزّز العلاقة بين الشخصية والقارئ داخل الرواية.

- البعد المادي (الفسيولوجي):

يعدّ هذا البعد من أهم الأبعاد المتعلّقة بالشّخصية الرّوائية، ولعلّ أهميته تكمن في تقريب صورة الشّخصيات المتواجدة في الرّواية للقارئ، ممّا يساعده في تخيّل شكلها ومظهرها الخارجي، وهذا يزيد في التفاعل معها أكثر، والانجذاب إليها أو النفور منها إذا ما كان شكلها الخارجي مقزّزًا أو بشعًا، أو مظهر ملابسها غير لائق.إنّ المقصود بالبعد المادي (الفيزيولوجي) هو" دراسة جميع الخصائص الجسمية وهو ما يطلق عليه بالبعد الجسمي كالطول والوزن والجنس (ذكر، أنثى) والعمر ولون البشرة." 21 (أوراس سلمان كعيد السلامي،2017، ص386) أي كل ما هو خارجي وظاهر، إذ يمكن لأيّ كان رؤيته وعليه فهذا البعد مرتبط بالجسد/ الظاهر، واللباس، وينظر آخرون إلى البعد المادي (الفيزيولوجي) بأنه كل ما يتحرّك في « مجال الدلالة على الهيئة الخارجية، ولا تتحقق هذه الدلالة إلّا بوقوع الهيئة أو الشخص المتجسد هيئة وشكلا في مجال رؤية الأشخاص." 22 (عبد الرحمن سبيسو، 1999، ص18).

_ التأثير النّفسي للتغيّرات الجسدية على شخصية" عزوزة:"

سنّ المراهقة هو من أكثر المراحل العمرية حساسية وصعوبة في حياة الإنسان ومخلّفات هذه المرحلة النفسية على شخصية أصحابها لا تعدّ ولا تحصى، لحساسية المرحلة في حدّ ذاتها، خاصة على الفتيات، لأنّ التغييرات الجسدية معها تكون أكثر.

رجعت الروائية بالقارئ بتقنية الاسترجاع إلى بداية نضوج عزوزة ومرحلة مراهقتها، ولم يكن رجوعا عبثيا، بل مقصودا، فقد أخذ حيّزا لا بأس به من السّرد، وإن كان ليس بعدد الصّفحات، لكن بثقل المعلومات النّفسية، التي جاءت بها تلك المقاطع السّردية لما تحمله من دلالة. وممّا جاء في الرواية هذا المقطع السّردي:

(...)" تمنّت لو ألقت بنفسها في مياهه المنعشة كي تداعب جسدها وتمتص حراراته الزائدة ، مثلما كانت تفعل حتى عهد قريب لكن هيهات.. فقد أصبح الخجل يلجم تلك الرّغبة كلما انتابتها (...) لقد بدأت تشعر بأحاسيس مبهمة وبتغيّرات غريبة في جسدها معلنة على أنوثة متفجّرة قبل الأوان.. استدارة نهديها وتصلّبهما الذي يؤلمها كلّما لامستهما وامتلاء جسدها، استدارة مؤخرتها، نظرات الرّجال الملتهمة التي تكاد تلتهمها، تشعر أنّها لم تعد طفلة، وأن معاملة هؤلاء الرّجال لها تغيّرت" 23 (الزهرة رميج، 2016، ص8 و 9).

يشير هذا المقطع من السّرد بشكل واضح إلى انتقال عزوزة من مرحلة الطّفولة إلى مرحلة المراهقة، فهذا التغيّر المفاجئ لجسدها جعلها تشعر بمشاعر مبهمة ومتضاربة في البداية، كما غيّر تعامل المحيطين بها خاصة الرّجال الذين أصبحت مصدر شهوة لهم، وعليه "ينبغي تقييم المراهقين حول اضطراب نفسي اجتماعي (...) وعلى وجه الخصوص يعدّ الاكتئاب والقلق والاضطراب في الأكل من المشاكل الشائعة في فترة المراهقة" 24 (أدلة MSD ،msdmanualsK ، 26/03/2022 ، على الساعة 10:30)

من هذه المشاكل نجد القلق، الذّي هو من أكثر المشاعر التي رافقت عزوزة لأنّها تعاني من صراع نفسي بين جسدها الطّفولي وجسدها البالغ بادئ الأمر. هذا التّغيير المفاجئ يؤثّر على المراهقين وعلى تصرّفاتهم، وما يلفت انتباه القارئ والدّارس أنّ عزوزة تميّزت عن غيرها ممن كنّ في سنّها من بنات القرية، فشخصيتها القويّة وقدرتها على المواجهة تشكّلت في هذه المرحلة، والقلق الذي رافقها مع بداية بلوغها سرعان ما تحوّل إلى فخر واعتزاز، على غرار من كنّ في سنّها ... " غير أنّها تشعر بالاعتزاز والكبرياء، فلم تلجأ كسائر الصّبايا في سنّها، إلى تلك الطريقة المتوارثة أمّا عن جدّة، في إخفاء معالم الأنوثة، لم تضغط على نهديها بمنديل تلفه عليهما وتعقده خلف ظهرها بقوة" 25 (الزهرة رميج، 2016، ص9) يتّضح هنا بشكل جليّ مدى تميّز شخصية" عزوزة " عن فتيات قريتها، وعن كل الفتيات في سنّها، في إطار السّرد عموما، حيث قالت عنها الروائية ساردة...) ":حالة شاذة في القرية" 26 (الزهرة رميج، 2016، ص9) لخّصت هذه العبارة الكثير وكانت كفيلة لنعرف أنّ شخصية " عزوزة " فريدة وقويّة، وأنّ فترة المراهقة لم ينتج عنها عقد نفسية، بل بالعكس جاءت بالإيجاب. ذهب جميل حمداوي بالقول": إن المجتمع العربي القديم لم يعرف المراهقة، فقد كان الطّفل ينتقل مباشرة من طور الطفولة إلى طور الرّشد والبلوغ والتّمييز والعقل، فقد كان مسؤولا عن أفعاله وتصرّفاته التّكليفية، بل يمكن القول: إن البادية المغربية، إلى فترة قريبة جدّا لم تعرف المراهقة (...) فإن معظم البنات في البوادي المغربية لم يعرفن فترة المراهقة، لأنّ أغلبيّتهن يمررن من مرحلة الطفولة إلى وضعية الزّوجات إلى وضعية الأمّهات" 27 (جميل حمداوي، شبكة الألوكة . نات، ص14).

كانت عزوزة التفرّد في القرية، فسكّان القرية كانوا يتعاملون مع الفتاة في سنّها معاملة قاسية، يقبعن في المنزل بانتظار عريس يأتي إليهن، كنّ بمثابة وصمة عار في العرف القروي عموما. ومنه من الرواية كمؤشر على ذلك:

"هي وحدها من يملك حرّية الجلوس ها هنا، إنّها أحبّ إخوتها _ الأشقاء وغير الأشقاء _ إلى أبيها (..) وقد بلغت الثانية عشرة من عمرها وأصبح جسدها يشي بامرأة مكتملة النّضج، لا يزال يجلسها إلى جانبه في جلساته وسهراته الخاصّة مع رجال القرية، مكانة يحسدها عليها الكثير من الفتيان قبل الفتيات" 28 (الزهرة رميج، 2016، ص9).

(...)"وكذلك: حبها لوالدها، حبّ تستغربه كلّ الصبايا في عمرها ممن يحكم الخوف لا الحبّ علاقتهن بآبائهن" 29 (الزهرة رميج، 2016، ص10).فعلاقة عزوزة بوالدها كسرت كلّ حواجز العادات والتّقاليد التي تكون غالبا في البوادي والقرى والأرياف حول علاقة الأب بأبنائه وبناته بشكل خاصّ، فالعلاقة المتوتّرة ينتج عنها عقد وأمراض نفسيّة خطيرة، لكن مع عزوزة كان العكس فعلاقتها الجيّدة مع والدها شكّلت شخصيتها القوية وعزّزت ثقتها بنفسها لأنّها كانت مدللة، وهذا ما أكدّه يونج فهو " يرى يونج (yong) بأن المراهقة فترة الميلاد النّفسي المصحوب بتغيّرات جسمية تبرز الأنا، بالرّغم من جهل المراهق بها"30 (جميل حمداوي، شبكة الألوكة . نات، ص34). ومنها تشكّلت معالم الأنا الواثقة القويّة لشخصية عزوزة في هذه المرحلة.

ويمكننا أن نلخّص ذلك في هذا الرسم التخطيطي:

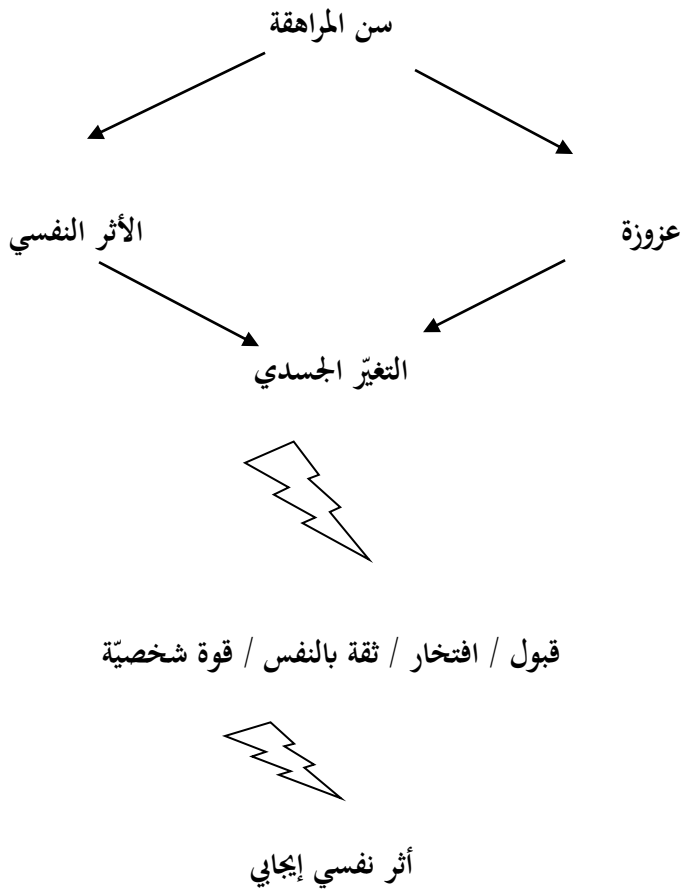

وعلى هذا الأساس ينكسر الحاجز الّذي قد يؤدّي إلى نفور القارئ من الشّخصية الرّوائية بخاصّة لأنّه يلمس فيها وجودًا للشخص الحقيقي، ويرى فيها صورة مصغّرة عنه. ومنه تظل الشّخصية بوصفها علامة فارقة تملؤها الرّواية شيئًا فشيئًا، فالوصول إليها وتحليلها تحليلًا كاملًا دون أن تشوبه شائبة يبقى أمرًا مستحيلًا، سببهُ غموض العنصر في حدّ ذاته، حتى عند مبدعه، فهو كإنتاج إبداعيّ على درجة عالية من الفنية، ممّا يدخل القارئ في العمل، واضعًا نصب عينيه محاولة فهمها وتفسيرها تفسيرًا صحيحًا.

7.أثر العادات والتقاليد على الجانب النفسي للشخصية البطلة" عزوزة":"

– البعد النفسي (البسيكولوجي):

هو بعد داخلي يتعلّق بالنفس وعقدها، لذلك يصعب التعامل معه "وهذا البعد في طابع الشخصية وما يميزها عن باقي الشخصيات، كأن تكون طيبة أو شريرة، كما يتجسّد أيضا فيما تقوم به وما تقوله، أو ما يظهر عليها من انفعالات وعواطف (حزن، فرح، غضب، استقرار" 31 (م م أوراس سلمان كعيد السلامي، 2017، ص387) فهو مرتبط بأفعالها التي تكون غالبا نتيجة عقد نفسية وصدمات عاطفية، فتنعكس على ما يقوم به من أفعال وتصرّفات.

لا يمكننا بأي شكل من الأشكال أن ننفي أنّ العادات والتّقاليد جزء من أعرافنا وعراقتنا وأصالتنا في جزء من التّراث القومي. لأنها تحافظ على تلاحم الأفراد، لكن هذا لا يعني أنّ كل العادات والتقاليد غير مبالغ فيها، وليست كلّها تخدم الفرد. فهناك الكثير منها لا يمكننا وصفها سوى بالمتحجّرة القاسية الصارمة، التي لا فائدة منها سوى إنتاج أفراد معقّدين نفسيا، يصل بهم الحدّ غالبا إلى الانتحار، هروبا من قيودها.

تحدّثت الروائية الزهرة رميج في" عزوزة" على الكثير من العادات والتقاليد الموجودة في البادية المغربية، ووضعت لجام السّرد عليها ومن أهمها العادات والتقاليد المرتبطة بتيمة الزّواج، لتكون الرواية بذلك نموذجا مصغّرا ومركزا لدراسة المجتمع، الّذي تدور فيه الأحداث في صرح السّرد، إذ لا تخلو الرّواية من هذا الرّفض الّذي مؤدّاه اختلاف الرؤى وتعدّد المواقف، ممّا يشير إلى صراع اجتماعي أساسه ومنطلقه الصّراع النفسي.

بالنظر إلى المتن الروائي قيد الدّراسة، يمكننا رصد تيمة الزّواج في البادية المغربية ومسبّباتها وأثرها النّفسي على الشخصية الرئيسية "عزوزة " فهذا الحدث – الزّواج –كان له دور مهمّ في تكوين عزوزة الداخلي البسيكولوجي، حيث ركّزت الروائية عليه ليتمكّن القارئ من استجلاء دلالات عديدة، مثل معاناة عزوزة النفسية الّتي بدأت بعد زواجها من أحمد.

كما تجلّت بوادر الحديث عن العادات والتّقاليد المتحجّرة تلوح في الأفق السّردي الروائي بدءا بقول أحمد مخاطبا عبد الرحيم أخ عزوزة: " ومتى كان للفتاة رأي في الزواج"32(الزهرة رميج، 2016، ص23). رغم أنّ هذه العبارة كانت ردّة فعل ونتيجة غضب شديد وغيرة أحمد من الملقّب " الحلّوف " الذي أراد سرقة عزوزة منه، لأنّه كان يرغب في الزواج بها. إلاّ أن العبارة تحمل الكثير من الدلالات، فالفتاة تقمع غالبا في موضوع الزّواج، وهي ليس لها حق اتخاذ القرار، وما عليها سوى القبول والطاعة أو القبول برفض والدها للعريس حتّى وإن كان يعجبها وتحبه، فهذا السّائد في القرى والبوادي دون عمل حساب للمخلّفات النّفسية الوخيمة، التي تكون عليهن.

كان أحمد قبل زواجه من عزوزة زير نساء، كثير العلاقات، رجل تقوده شهواته لا عقله، وهذا من الأسباب التي تركته يتزوّج من ابنة خالته رغم أنّه لم يكن يحبّها، وكمؤشّر على ذلك نجد في الرواية:

" لقد سبق لأحمد أن تزوّج بابنة خالته زواجا لم يدم طويلا، فرضته عليه أمّه فرضا للَم الفضيحة ورد الاعتبار لأختها بعد أن ضبط متلبّسا مع ابنتها في غابة الصبار" 33 (الزهرة رميج، 2016، ص24).ورغم صلة القرابة التي كانت تربط أحمد بمن تزوّج بها إلاّ أنّ زواجه منها كان تكفيرا عن خطأ وجب تحمّله وتصحيحه كرجل. إلاّ أنّه كان يعاملها معاملة قاسية ويشبعها ضربا وإهانة إلى أن طلقها، والحديث هنا عن أحمد لا لشيء سوى لأنّه لعب دورا مهما في حياة عزوزة، خاصّة فيما تعلّق بتيمة _ الزواج _ فشخصيّته الضّعيفة وتحكّم والدته فيه، وتسلّطها أثّر فيما بعد على علاقته بعزوزة ومنه": لا تقل زوجتي بل قل زوجة أمّي لهوت معها ساعة من الزمن فأرادوا إلصاقها بي العمر كله" 34 (الزهرة رميج، 2016، ص25).ومن التّمظهرات الدّالة على هذه الشّخصية نجد كذلك "عواطفه غير مستقّرة، تقوده الشّهوة لا الحبّ" 35 (الزهرة رميج، 2016، ص25).لأنّه بدراسة تحليلية يمكننا أن نصل إلى أن شخصيّة أحمد شخصية غير سوية. فعزوزة كذلك عانت من ضغط العائلة والمجتمع، فقد تفاجأت بقدوم موكب الخطّاب لها دون علمها، ومن تمظهرات ذلك:" من هم هؤلاء الضّيوف القادمون الّذين سمعت عزوزة أمّها والفقيهة تتحدثان عنهم همسا ليلة البارحة ؟ (...)

توجهت الفقيهة نحو عزوزة قائلة:

_هذا جهازك قادم أدخلي الخيمة وغيّري ملابسك

_جهازي أنا ؟

_نعم لقد طلب الحاج الجيلالي يدك لابنه، فوافق والدك، مبروك يا ابنتي.

_خفق قلبها، أحسّت بخواء في ركبتيها، وبضباب يكسو فجأة نظراتها.. بالكاد تتمالك نفسها كي لا تهوى على الأرض.

_لا أريد أن أتزوّج ، أريد أن أبقى في بيتنا...

(...)

_لا أحبّ ذلك الحلَوف....

_الحبّ ؟ قاطعتها الفقيهة غاضبة. ما هذا الكلام الغريب؟ لو سمعك أبوك لعاقبك على هذا الكلام البذيء "36 (الزهرة رميج، 2016، ص32).

فالحبّ لعنة ومحَرم في القرى والأرياف، فلا يمكن الاعتراف به، ولا حتّى الحديث عنه في الواقع وحتّى سردا.

وعليه نخلص إلى:

تيمة الزّواج .

إرغام عزوزة على الزّواج من الحلَوف.

الآثار النّفسية المترتّبة على هذا الحدث.

صدمة نفسية/ توتّر / غضب / تمرّد على العادات والتّقاليد.

نتج عن ذلك جملة من الحالات النّفسية السّلبية نتيجة لتسلّط العائلات، وطمس شخصيّة بناتهم في اتّخاذ قرار الزّواج مثلما حدث مع عزوزة، ومنه استحالة أن تتكوّن شخصيّات سويّة، حتى وإن كانت تلك الشّخصيات شخصيّات ورقية، وهذا ما قدّمته لنا المبدعة الزهرة رميج. من الطبيعي أن تكون شخصيّاتها تتخبّط في دوّامة الأمراض والعقد النّفسية بسبب المكان/ البادية وبسبب الأعراف والتّقاليد القاسيّة، ومنه يتولّد مرض نفسي آخر لدى عزوزة وهو الكآبة، بدءا من ليلة دخلتها مع أحمد بسبب الضّغط النّفسي من والدة أحمد، وانتظار أهلها دليل شرفها وعذريتها، وصولا إلى بداية تعنيف أحمد ": لم ينبس أحمد بكلمة واحدة. إنّما رفع يده إلى الأعلى وصفع عزوزة صفعة رأت على إثرها النّجوم تتطاير أمام عينيها" 37 (الزهرة رميج، 2016، ص64). ممّا أثّر على صحّتها النّفسية، وممّا انعكس على صحّتها الجسديّة بعد ذلك مؤدّيا إلى موتها /النهاية / اللاعودة.

– تأثير المراهقة على السّلوك اليومي للبطلة :

إنّ فترة ما يسمى المراهقة هي فترة صعبة جدّا لما ينتج عنها من تغيّر في سلوكيات الفرد، التي غالبا ما تنزع إلى العدوانية والتمرد والرّفض" إنّ المراهقة فترة حاسمة من أجل تطوير عادات اجتماعية وعاطفية مهمّة بالنسبة إلى السّلامة النّفسية "38(منظمة الصحة العالمية ، 2021 ، https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/) أي أنّه من أجل تحقيق التّوازن النّفسي للفرد وجب مراعاته في فترة المراهقة بصفة خاصّة، وذلك لحساسية الفترة وما يتكون من مخلّفات أثناء الفترة وبعدها ف" كلّما زاد تعرّض المراهق لعوامل الخطر كان التّأثير المحتمل على صحتّه النفسية أكبر، وتشمل العوامل التي يمكن أن تساهم في الإجهاد خلال فترة المراهقة كالتعرّض للشّدائد"39(منظمة الصحة العالمية،2021، https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/)

أدركت الروائية " الزهرة رميج " مدى الأثر البالغ لفترة المراهقة، لذلك لم تسقطها في سرد أحداثها لرواية " عزوزة " حيث تطرّقت إلى هذه الفترة وأثرها على شخصية " عزوزة"، ويتجلى ذلك من خلال قراءتنا للمتن الحكائي، حيث نلاحظ الأثر القويّ لهذه الفترة على شخصيّة عزوزة، والرّواية تحفل بتفاصيل عديدة ودقيقة للأحداث التي واجهت الشّخصية البطلة، التي رافق تأثيرها النّفسي والجسدي الشّخصية حتى نزول ستار السّرد معلنا النهاية .

8 . الأثر النّفسي لمرحلة المراهقة على الشخصية البطلة :

إنّ الرواية تفرض مرجعية ثقافية وتراثية وفلكورية لمن يرغب في استكناهها"40 (بيان اليوم، 2012، تاريخ الزيارة:19/ 2024/02على الساعة 39:21.) وقد تجلّت تمظهرات هذه الفترة من خلال ثنائية الرّفض والتمرّد على العادات والتّقاليد للريف المغربي، فالشّخصية عاشت في بيئة ريفيّة، تتميّز بالصّرامة فيما يتعلّق بعاداتها وتقاليدها المتوارثة، ومن بين ما تمرّدت فيه عزوزة هو زواجها من أحمد الشّخص الذي أحبّته رغم أنّ الحبّ يعتبر عارا ومحرّما في العرف الرّيفي القديم، وعليه كان أثر هذه الفترة على عزوزة هو تمرّد على العائلة والمجتمع معا، معلنة شخصيتها القويّة منذ مراهقتها، فشخصيّتها تحمل حمولات ثقافيّة ومجتمعية عديدة .

9. الأثر الجسدي لمرحلة المراهقة على الشّخصية البطلة:

نجد في الرواية ما يشير إلى هذه المرحلة "فقد بدأت تشعر بأحاسيس مبهمة وتغيّرات في جسدها، معلنة عن أنوثة متفجّرة قبل الأوان.." 41 (الزهرة رميج، 2016، ص9). جعلت الروائية الجسد في فترة المراهقة خطابا من خطابات السّرد عموما حتّى بعد هذه الفترة، لأنّ

في فترة المراهقة تطرأ تغيّرات عديدة على الجسد / المظهر الخارجي والصوت، ويبدأ المراهق في اكتشاف والتّعرف على جسد جديد، وكلّ هذه التحوّلات تؤثّر عليه كما أثّرت على الشّخصية البطلة.

ومنه في الرواية " الشّعر حر لا تقيّده الضفائر، و إنّما يسدل فوق الأكتاف العارية والخصور النحيفة "42(الزهرة رميج، 2016، ص8) نكون هنا أمام :

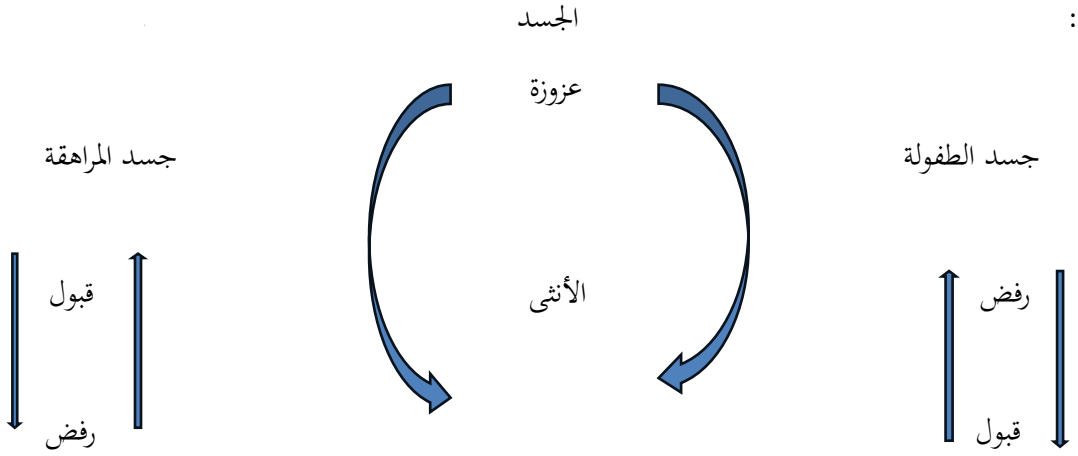

10.خاتمة:

من خلال دراستنا في هذه الورقة البحثية للجانب النّفسي المتعلّق بالشّخصية البطلة عزوزة للكاتبة المغربية الزهرة رميج وصلنا إلى جملة من النتائج منها:

ـــإن التفاعل مع البيئة المحيطة وشخصيّات الرّواية نتج عنه عدم قدرة عزوزة على التكيّف وبالتالي الجنوح إلى تصرّفات غير سوية غالبا.

ـــإن الزهرة رميج بارعة في تقديم شخصية عزوزة للقارئ والدّارس، فهي شخصية مركّبة يصعب الغوص في أغوارها واستنطاق خباياها النّفسية الدّاخلية. لذا وجب الاستعانة بمجهودات علماء النّفس وأبحاثهم. كما تصوّر الرّواية الشّخصية البطلة / المرأة إمّا خاضعة طائعة مستسلمة أو شخصيّة رافضة متمرّدة، تسمع صوتها داخل الفضاء الروائي وتؤثّر في مسار الأحداث والشّخصيات الأخرى، رافضة كلّ ما يحيط بها من عادات وتقاليد، رغم أنّها انساقت للخضوع والسّكوت أحيانا، حيث مزجت بين الخضوع والتمرّد، محقّقة وجودها بأبعاد مختلفة لكسر الهيمنة الذّكورية، وكسب رهان كسر قيود العادات والتّقاليد.

.المصادر والمراجع:

- الخليل بن أحمد الفراهيدي، 2003،معجم العين، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداوي، (باب الشين)، ج2، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 .
- ابن منظور، 2008م، لسان العرب، ضبطه خالد رشيد القاضي، ج7، دار الأبحاث، الجزائر، ط1.
- محمد الهلالي وغرير لزرق، الشخص، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، (د-ط)، (د،ت).
- سيد محمد غنيم، الشخصية، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د،ط)، (د،ت).
- م م أوراس كعيد السلامي، 2017 ، الشخصية وتمثلاتها في رواية (بقايا صور للروائي حنا مينة)، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية و الإنسانية ، كلية الموارد المائية ، جامعة بابل ، العراق عدد 33 .

- أحمد بن نعمان، 1988،سمات الشخصية الجزائرية من التطور الأنتربولوجي النفسية، الشركة الوطنية لاتصال الجزائر، للنشر والتوزيع، الجزائر، (دط).
- حليمي المليجي، 2000م.علم النفس الإكلينيكي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1.
- سعيد علوش، 1985م،معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، ط1.
- إبراهيم فتحي، 1986م، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، (دط)،.
- منال عواد مفلح العرقان، البنية السردية في أعمال هاشم غرايبة الرّوائية، خليل الشيخ (ماجستير) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آل البيت الأردن، 2011/2010م.
- عباد عبلة، شعرية السرد روايتي "اعترافات حامد المنسي" و"الروابي الجميلة لأزهر عطية، عمرو عيلان، (ماجستير)، كلية الآداب واللّغات والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها، تخصص الأدب الحديث والمعاصر، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر، 2012/2011م..
- الزهرة رميج ، 2016 رواية عزوزة، عمان، الأردن ، فضاءات للنشر.
- الجزيرة ، aljazeera.net ، تاريخ الإطلاع 29/03/2022 ، على الساعة.23:00 :
- روجر_ ب _هينكل ، تر صلاح رزق، 1999(قراءة الرواية مدخل إلى تقنيات التفسير) ، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، آفاق الترجمة.
- أوراس سلمان كعيد السلامي، 2017، الشخصية وتمثلاتها في روية (بقايا صور) للروائي حنا مينة، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العراق، العدد33 ،حزيران.
- عبد الرحمن سبيسو، 1999م ،قصيدة القناع في الشعر العربي المعصر، المشروع القومي للترجمة، لبنان، ط1.
- أدلة MSD، msdmanualsK ، تاريخ الإطلاع 26/03/2022 ، على الساعة.10:30 :
- جميل حمداوي ، المراهقة خصائصها و مشاكلها و حلولها ، شبكة الألوكة . نات.
- صحة المراهقين النفسية ، منظمة الصحة العالمية ، 17تشرين الثاني 2021، https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/
- قراءة نقدية البعد الأيروسي في رواية عزوزة للكاتبة المغربية زهرة رميج ، بيان اليوم ، 17مايو 2012 ، تاريخ الزيارة : 19/ 2024/02على الساعة.